

(٧) خطبة له ﷺ

فى وصف الدارين

عن شداد بن أوس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطب يوماً، فقال :

«الْأَ إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، الْآ وَإِنَّ الْآخِرَةَ أَجَلٌ صَادِقٌ ، يَقْضَى فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، الْآ وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحِذَافِيرِهِ فِى الْجَنَّةِ ، الْآ وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحِذَافِيرِهِ فِى النَّارِ . الْآ فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ..
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ (١)»

(أخرج البيهقى ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير عن شداد بن أوس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقول :

«أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ (٢) حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ وَعَدُّ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، يَحَقُّ الْحَقُّ وَيَبْطُلُ الْبَاطِلُ . أَيُّهَا النَّاسُ .. كُونُوا أَبْنَاءَ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا ،

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) قال فى «مختار الصحاح» : عرض الدنيا ما كان من مال قل أو كثر .

فَإِنَّ كُلَّ أُمَّ يَتَّبِعُهَا وَلِدُهَا». قال الهيثمي : وفيه أبو مهدى سعيد بن سنان، وهو ضعيف جداً).

في هذه الخطبة أراد النبي ﷺ أن يوقفنا- كما أشار في الخطبة السابقة- على حقيقة الدنيا، وهي أنها عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وهذا معناه: أن الدنيا لا قيمة لها، ولا وزن لها عند الله تبارك وتعالى، وكما جاء في نص حديث شريف :

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة .. ما سقى كافراً منها شربة ماء » (١).

ومن أجمل ما قرأت في هذا قول أحدهم :

عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا لِرِفْعَةِ جَاهِلٍ وَخَفَضَتْ لِيَذَى عِلْمٍ فَقَالَتْ: خُذِ العُدْرَةَ
بَنُو الجَهْلِ ابْنَائِي لِهَذَا رَفَعْتُهُمْ وَأَهْلُ التَّقَى ابْنَاءُ ضُرَّتِي الأُخْرَى
أَثْرَكَ ابْنَائِي يَمُوتُونَ ضِيْعَةً وَأَرْضِعُ ابْنَاءَ لِضُرَّتِي الأُخْرَى

وإذا كان النبي ﷺ يشير إلى هذا، فإنه يريد أن يلفت أنظارنا، بل وقلوبنا إلى ضرورة أن نعمل للأخرة، مع العمل للدنيا، فقد ورد في الحديث :

« خيرُكم مَنْ لَمْ يَنْرُكْ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، وَلَا دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ كَلًّا عَلَى النَّاسِ » .. مع الحرص المستمر على الاستفادة بكل

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

لحظة فى هذه الحياة الأولى : فى عمل الخير الذى به نكون من أهل الجنة ، لا من أهل النار . فإن الخير كله بحذافيره فى الجنة ، وإن الشر كله بحذافيره فى النار .

كما يحذّر النبى ﷺ من عقاب الله تعالى ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (١) فهو سبحانه : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ (٢) .

فلتتعظ بكل هذا ، حتى نكون دائماً وأبداً على أتم استعداد للقاء الله تبارك وتعالى ، وذلك هو الخير العظيم .

(١) سورة آل عمران : ٣٠ .

(٢) سورة غافر : ٢ .